

البَابُ السَّادِسُ عَشَرُ

التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم

الرسول باب الله :

أكثر المعترضون على التوسل ، وقالوا ما قالوا ورموا المتوسلين بالكفر ، والأمر من البساطة بحيث لا يحتمل كل ذلك الجدل العقيم .

فالتوسل حين يتوسل إلى الله برسوله صلى الله عليه وسلم ، إنما هو لاجئ إلى الله تعالى لا إلى غيره ، فإنَّ رسوله صلى الله عليه وسلم هو بابه بدليل قوله تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) ، فقد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه ولم ير الله في ذلك كفراً ، بل قال سبحانه : (أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) . ومثل ذلك في كتاب الله كثير : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى) ، و (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) . ولم يقل الله لماذا يسألونك عنى ؟ ولا يسألون الله مباشرة فيجيبهم مباشرة ، بل أقر سبحانه لجوعهم في السؤال إلى رسول الله وأجابهم على ما سألوا عنه رسول الله . وأما إنه سبحانه لم يقل لرسوله قل لهم (إنى قريب) على غير ما أجاب به الأسئلة الأخرى فلأن سؤالهم كان عن « الله تعالى » بدليل قوله (عنى) فمن الطبيعي أن تكون الإجابة (فإنى قريب) وهى جواب الشرط (وإذا سألك . . .) بينما تم سؤالهم فى المسائل الأخرى بدليل قوله تعالى ويسألونك ، كما أنك تلاحظ أن قوله « قل » لأن المسئول هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعلمته الله الجواب بقوله تعالى (قل . . .) والتوسل برسول الله ليس معناه ترك سؤال الله بل هو لجوء إليه من بابه الذى جعله رحمة للعالمين ، وإليك التفصيل .

تبليغ الدعوة :

إن الله دعانا إلى الإيمان على يد رسوله صلى الله عليه وسلم ، وخاطبنا بالقرآن الكريم الذى أوحاه الله إليه وعهد إليه بإبلاغه ، ولم يجعل الله رابطته بعباده رابطة مباشرة ، بل جعلها بالواسطة . لا بل إِنَّ وَحيه وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالواسطة ، قال تعالى فى سورة الشعراء : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ • عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ • بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) ، وجعل الله بيعته بيعة لله (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) ، لأنه رسول ربه للناس .

الرسالة المحمدية رحمة :

ورسالته صلى الله عليه وسلم قامت على الرحمة ولم تقم على الغضب ؛ فى الحديث القدسى «سبقت رحمتى غضبى» وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فجعله تعالى مناوئاً للرحمة .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا قاسم والله مُعْطٍ » كما قال صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا رحمة مهداة » ومع أن الله تعالى هو الفعّال لما يشاء فإنه أقامها أسباباً لتؤتى ثمرتها بإذن مسببها سبحانه ، فخلق الأرض للنبات . فإذا قُلِمَتْ أُنْبِتَتِ الْأَرْضُ الزَّرْعَ فالعنى أنها أُنْبِتَتْ بإذن خالق الأرض . فهو على المجاز لا على الحقيقة .

معرض التوحيد ومعرض الأسباب :

فهناك معرضان لا بد من الفصل بينهما ، معرض التوحيد . ومعرض الأسباب التى أقامها الله لتؤتى ثمرتها بإذنه . أما فى معرض التوحيد فليس مع الله أحد لا كبير ولا صغير . فهو المقدر وهو المدبر وهو الرازق وهو المعطى وهو الشافى .

إلخ ، فالله فعّال لما يشاء في قضائه الذي هو من سلطانه المطلق ، لكنه تعالى شاء أن يرزق البعض البعض ، ويعلم البعض البعض ، بل ويخلق البعض البعض .

اللجوء للأسباب لا ينافي التوحيد :

واللجوء للسبب ليس معناه الانصراف عن المسبب ، فإني أُلجأ إلى الطبيب باعتباره أداة أقامها الله لعلاج الأمراض مع ثقتي في أن الشفاء من عند الله (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) ، فأنا لاجئ إلى الله بالأسباب التي أقامها ومعتمد عليه في أن تؤتي ثمرتها بإذنه . وقد كلفنا الله أن نسعى للمعاش ونتخذ الأسباب مع أنه هو وحده الرازق ، لكنه جعل للرزق أسباباً يطرُقها المسترزقون بأمره ليعطيهم ما قسم لهم من الرزق ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

وما هو كائن في أمور الدنيا على يد البعض للبعض ، يقوم مثله في أمور البرزخ حين ينتقل العباد من الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ ، فع أنه سبحانه هو الغفور الرحيم ، فقد أمرنا بصلاة الجنّاة على موتانا ، فندعو لهم في صلاة الجنّاة بالمغفرة ، فإن لم نصَلْ عليهم كنا عنده من الآثمين ، فشاء سبحانه أن يشفّع الأحياء للأَمْوات في صلاة الجنّاة من باب ربط الثمرات بأسبابها — وليس في هذا تقييد لله ، ولا انصراف عنه ولا إشراك به ، بل فيه تضرّع ودعاء ولجوء له ، وأمل فيه من طريق شرع الله وهو سبحانه الغيور على توحيد ذاته ، وهو ما يفيد انتفاع الميت من صلاح الحي لأن صلاة الجنّاة عمل صالح .

وعكس هذه الصورة واقع بنص كتاب الله ، فقد شاء سبحانه أن يحفظ للغلامين اليتيمين كنزهما حتى يبلغا أشدهما ، فأوحى للخضر عليه السلام أن يقيم الجدار على الكنز ، وبيّن سبحانه أن ذلك منه رعاية لأبيهما الصالحين في ذريته من بعده ، فقال تعالى : (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ رَسُولَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ

أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي :
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) . وهو ما يفيد قطعاً انتفاع الحى من
صلاح الميت بعد موته .

وقد جمع الله تعالى بين معرض التوحيد ومعرض الأسباب فى قوله تعالى :
(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذَى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ
اللَّهَ) . فقد أسلم سيدنا زيد ، وأعتق من الرق ، وتزوج بالسيدة زينب بنت
جحش ، وكان ذلك كله على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسببه ،
فجعل الله رسوله مُنْعَمًا على زيد من باب السببية ، والله سبحانه وتعالى منعم
بِقضائه وقدره ، وكان تنفيذ قضائه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقد نعت الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالإنعام مع أنه لا مُنْعَم إلا الله تعالى
ليبين أنَّ إنعام السبب هو من إنعامه جل جلاله ، وليس فى ذلك ما ينافى
توحيد الله تعالى .

وشاء الله أن يدفع الناس بعضهم ببعض فقال تعالى فى سورة البقرة آية
٢٥١ : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ
ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) ، وبين سبحانه الحكمة من دفع الناس بعضهم
ببعض ، فقال تعالى فى سورة الحج آية ٤٠ : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسِ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) ، وهو ما يفيد أنَّ
الله يكرم الناس بصالحيتهم العاكفين على العبادة فى دور العبادة ، وقد
أكرم الله الكفَّار فى مكة بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فقال
تعالى فى سورة الأنفال الآية ٣٢ ، ٣٣ : (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ

هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا نِعْدَابَ
الْإِيمِ . وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ .

وفي معرض التوحيد يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي
مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) . وفي معرض الأسباب يقول له
سبحانه : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ، أى تهدي مَنْ قَضَى اللَّهُ
أَنْ يَهْدِي . فليس بين المعرضين تصادم ، بل هو الحق من ربك ، فهو
المسبب ، والأسبابُ أسبابُهُ ولا يكون لها ثمرة إلا بإذنه : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ
رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) .

وهذا يفسر لك كيف قال جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام :
(إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًا) . وليس في مقدور جبريل
أَنْ يهبها غلاماً بنفسه ، ولكنه استند إلى سلطان الله الذي آتاه وقال في ثقة
بربه (لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا) . لأنه تعالى قال له اذهب بأمرى فهب لها غلاماً
بإذنى وقدرتى .

وكذلك قول سيدنا المسيح عليه السلام : (وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُخَيِّ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) ، وأيضاً قول سيدنا موسى عليه السلام : (رَبُّ
إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) وهو لا يملك على الحقيقة نفسه ولا أخاه ،
وإنما الله ملّكه نفسه وأخاه - فقد قال تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا
أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) .

وسخر الله الملائكة في الاستغفار للمؤمنين وكشف الله لنا عن فضله في
ذلك فقال تعالى في سورة غافر الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا

وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ • رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

إذا فَصَّلْنَا بين المعرضين معرض التوحيد ومعرض الأسباب ، وربطنا بينهما برابطة القضاء وتنفيذه بأسباب ، أجزأنا في غير حرج التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه ، وكذلك التوسل بالصالحين من عباد الله المتقين الذين قال تعالى فيهم : (إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

أقوال العلماء :

وإليك ما يقوله الإمام السهودي رضى الله عنه في كتابه خلاصة الوفا :
التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وميراث السلف الصالحين .

آدم يتوسل :

وقد صحح الحاكم حديثاً : لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لئمتما غفرت لى^(١) ، فقال : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أنخلقه ؟ قال : يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحب الخلق ؛ إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى ، وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك . وقال سيدى العلامة الزرقانى : والله در القائل حيث ضمن مضمون الحديث حاكياً عن سيدنا آدم عليه السلام فقال :

وَأَثَابُ شَمْلِ الْإِنْسِ مُحْكَمَةُ السُّدَى	وَكَانَ لَدَى الْفَرْدُوسِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
يَزِيدُ عَلَى الْأَنْوَارِ فِي الضُّوْءِ وَالْهَدَى	يَشَاهِدُ فِي عَدْنِ ضِيَاءٍ مُشْعَشَعَا
جُنُودَ السَّمَاءِ تَعْبَسُو إِلَيْهِ تَرْدُداً	فَقَالَ إِلَهِي مَا الضِّيَاءُ الَّذِي أَرَى

فقال نَسِيَّ خَيْرٌ مِنْ وَطِئِ الشَّرِّ
تَخَيَّرْتُهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِكَ سَيِّدًا
وَأَعَدَدْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعًا
فِي شَفْعٍ فِي إِنْقَازِ كُلِّ مُوَحَّدٍ
وَإِنَّ لَهُ أَسْمَاءَ سَمَّيْتُهُ بِهَا
فَقَالَ إِلَهِي اأْمَنْنُ عَلَى بَنُوتِهِ
بِحَرَمَةِ هَذَا الْإِسْمِ وَالزَّلْفَةِ الَّتِي
أَقْلَيْتَنِي عِثَارِي يَا إِلَهِي فَإِنَّ لِي
فَنَابَ عَلَيْهِ رَبُّهُ وَحَمَاهُ مِنْ

وَأَفْضَلُ مَنْ فِي الْخَيْرِ رَاحٍ أَوْ غَنَدِي
وَالْبَسْتُهِ قَبْلَ النَّبِيِّينَ سُودًا
مُطَاعًا إِذَا مَا الْغَيْرَ حَادَّ وَحَيِّدًا
وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُخَلَّدًا
وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ مِنْهَا مُحَمَّدًا
تَكُونُ عَلَى غَسَلِ الْخَطِيئَةِ مَسْعِدًا
خَصَّصْتُ بِهَا دُونَ الْخَلِيقَةِ أَحْمَدًا
عَدُوًّا لَعِينًا جَارِي الْقَصْدِ وَاعْتَدِي
جَنَائِيَةَ مَا أَخْطَأَهُ لَا مَتَعَمِّدًا

ضَرِيرٌ يَبْصُرُ :

وَاللَّسَّائِي وَالتَّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَانَ بْنِ حَنِيفٍ أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَعْافِيَنِي ، قَالَ : إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قَالَ : فَادْعُهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحَسِّنُ وُضُوئَهُ وَيَدْعُو بِهِذَا الدُّعَاءَ :
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوجِّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتُوجِّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي لِتُقْضَى ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ » ، وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَزَادَ :
« فَقَامَ فَأَبْصَرَ » .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانُوا إِذَا قَحِطُوا اسْتَسْقَوْا بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ . وَفِي رِوَايَةٍ لِلْحَافِظِ أَبِي الْقَاسِمِ هَبَةَ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَسْقِيكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَسْتَشْفَعُ إِلَيْكَ بِشَيْبَتِهِ فَسُقُوا ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبَّاسُ بْنُ عَبْتَةَ :
بِعَمِّ سَقَى اللَّهُ الْحِجَازَ وَأَهْلَهُ عَشِيَّةً يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَرُ

وَفِي رِوَايَةٍ لِلزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ أَنَّ الْعَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي دُعَائِهِ : وَقَدْ تَوَجَّهَ بِ الْقَوْمِ إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْقِنَا الْغَيْثَ ، فَأَرِخْتَ السَّمَاءَ مِثْلَ الْجِبَالِ حَتَّى أَخْصَبَتِ الْأَرْضُ . وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ ذَلِكَ عَامُ الرَّمَادَةِ .

حكمة الاستسقاء بالعباس :

ويقول المعترضون : لماذا توسلوا بالعباس رضى الله عنه ولم يتوسلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان التوسل به صحيحاً وجائزاً . فنقول لهم لأن الاستسقاء له صلاة تؤدى ، وهى ركعتان ، وهى سنة مؤكدة - ويندب بعدهما خطبتان ويعقبهما دعاء ، ولا يعقل أن يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم من قبره الشريف لتأدية ذلك .

ولو تدبر المعترضون قليلا لفظنوا أن السادة الصحابة اختاروا في استسقاؤهم العباس رضى الله عنه لأنه عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس إليه ، فهو توسل بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد سقاهم الله وسمى العباس رضى الله عنه « ساقى الحرّمين » وقد قال العباس صراحة فى دعائه كما مر عليك : « وقد توجه بنى القوم إليك لمكانى من نبئك صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث » وقد استجاب الله له .

وقد حكى أهل العلم عن الإمام العتبي (أحد شيوخ الإمام الشافعى رضى الله عنهما) - مستحسنين له - قال :

كنتُ جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : (ولو أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً) ، وقد جئتُك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى رَبِّي ، ثم أنشأ يقول :

يا خيرَ من دُفنت في القاع أعظمُهُ فطابَ من طيبهن القاع والأكم

نَفْسِي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفافُ وفيه الجود والكرم

قال العتبي : ثم انصرف ، فغلبتني عينتاى فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال : يا عتبيّ الحقّ الأعرابى فبشره أن الله غفر له .

ويحكى الأصمعى رحمه الله أن أعرابياً وقف مقابل القبر الشريف فقال : اللهم هذا حبيبك ، وأنا عبدك ، والشيطان عدوك ، فإن غفرت لى سرُّ

حيبيك ، وفاز عبدك ، وغضب عدوك ، وإن لم تغفر لي غضب حبيبيك ، ورضي عدوك ، وهلك عبدك ، وأنت أكرم من أن تغضب حبيبتك ، وترضى عدوك ، وتهلك عبدك ، اللهم إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره ، وإن هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره .

قال الأصمعي فقلت : يا أخا العرب إن الله قد غفر لك واعتقك بحسن السؤال .

الحبة ليست شركاً :

وليت شعري كيف يشكك الجاهلون في محبته صلى الله عليه وسلم ويرمون المحب بالشرك ، أين الحبة من العبادة ؟ إننا نشهد في كل تشهد أنه عبد الله ورسوله ، فمن أين تأتي الشراكة ؟ ومن أين يأتي اللبس ؟ وكيف لا أحبه بحب الله له ؟ وكيف لا أكرمه بتكريم الله له ؟ وكيف لا أعظمه بتعظيمه له ؟ وقد جعل سبحانه اتباعه صلى الله عليه وسلم الدليل على محبة الله تعالى في قوله سبحانه :

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ، وهل اتباعه صلى الله عليه وسلم كان وقفاً على حياته ، أو هو قائم إلى يوم القيامة ؟ وهل أمرنا الله تعالى بالصلاة والتسليم عليه في حياته أو إلى يوم القيامة ؟ وهل كان الخليفة الأول أبو بكر الصديق علم الأمة الأشهر جاهلاً بالتوحيد حين حرص على أن يُدفن في قبره صلى الله عليه وسلم وإلى جواره الحسى صلى الله عليه وسلم ؟ وهل جهل أمير المؤمنين عمر التوحيد حين استأذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يدفن إلى جانب صاحبه ؟ هل نرميها بالشرك لأنهما أرادا أقرب جوار في القبر الشريف وفضلاً عن مقبرة المسلمين العامة ، وهل كان ابن عمر جاهلاً حين كان يدخل المسجد النبوي ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل كان عمر بن عبد العزيز جاهلاً حين كان يرسل عامل البريد للمدينة للسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل كان الإمام مالك جاهلاً حين كان يقول : كيف أطأ بحافر دابة أرضاً تضم جدت النبي صلى الله

عليه وسلم ؟ أو حين استفتاه الخليفة المنصور في الدعاء فيما إذا كان يواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يستديره ويتجه للقبلة ويدعو ؟ فأفتاه قائلاً : وكَيْفَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى ، بل استقبله واستشفعه ، فَيَشْفَعَهُ الله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) .

ولم أرد بهذه الكلمة أن أقنع المعارضين ، لأنهم لا يقتنعون ، ويتمسكون برأيهم في تعصب شديد ، ولكنني أردت أن أطمئن المؤمنين الذين يتبركون بأسلافهم الصالحين ويتوسلون بهم إلى الله الذي أكرمهم في جواره وهم السابقون بالخيرات بإذن الله ، وكناهم شرفاً أن يقول تعالى في أحبابه : (لهم ما يشاءون عند ربهم) وهو سبحانه القائل : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقد سَنَ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعين بالصالحين حين استأذنه سيدنا عمر في الخروج إلى مكة للعمرة فقال له : « لا تنسني يا أخى من دعائك » فإذا كان الفاضل يجوز له أن يستعين بدعاء المفضل ، فكيف لا يستعين المفضل ببركات الفاضل ؟

وإذا كان لكل مؤمن شفاععة عند الله يوم القيامة فلماذا لا تكون للمقربين شفاععة في البرزخ ، وهو سبيل إلى الآخرة ، والله تعالى يقول في شأنهم : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . ولا شك أنه مما تَقَرُّ به أعينهم أن تجرى رحمة الله للمؤمنين على أيديهم ، وأن يُكْرِم الله زوارهم في حاجاتهم ، وقد زاروهم زيارة خالصة لله وفي محبته تعالى ودعوا لهم بالمغفرة ، ويسرهم أن تكون لهم من الله الجائزة ، وهو سبحانه وتعالى صاحب الفضل على عباده أجمعين (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فليفرحوا هو خير مما يجمعون) .

بيان للناس :

أقول : وفرق بين حب الصالحين وعبادة الأوثان ، ولا محل إذن للتشكيك في عقيدة المحبين بدعوى أن عبادة الأصنام تقربوا بعبادتها وقالوا : إنما نعبدكم

ليقربونا إلى الله زلفى ، والمحبون لا يقولون : نعبدكم ، إنما يقولون نجبهكم لأن الله أحبهم .
 «أحبوه (يحبهم ويحبونه) ، فهى مغالطة مكشوفة تحت شعار الغيرة على العقيدة ،
 والعقيدة تلزمنا محبة الصالحين ممن أنعم الله عليهم برضاه سبحانه ، وشجعنا على تقليدهم ،
 والسير على منوالهم فى طاعة الله ورسوله لنحشر معهم ، وننعم برضوانه فقال تعالى :

(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) ، وعلمنا سبحانه
 أن نسأله هدايتنا لصراطهم فى كل فاتحة (اهدنا الصراط المستقيم . صراط
 الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) . وما أروع ما يقول فى
 شأنهم سيدى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى فى الباب التاسع والعشرين من
 كتاب «الفتوحات المكية» :

« قال تعالى لإبليس : (إِنِّ عَبْدَى لَّيْسَ لَكَ عَلَيْهِمُ سُلْطَانٌ) ،
 فاضافهم إليه وهم الذين لا سلطان لخلق عليهم فى الآخرة ، وما تجد فى القرآن
 عباداً مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة ، وجاء اللفظ فى غيرهم بالعباد .

التبرك بالآثار النبوية :

إن القرآن الكريم شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعبودية ، وكل مؤمن
 مصدق بالقرآن الكريم ، فكيف نتهم المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالشرك ؟ وقد سأل أبو هريرة رضى الله عنه الحسن السبط رضى عنه أن يكشف له
 المكان الذى قبَّله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سرته ، فقبلها تبركاً بآثاره
 وذريته صلى الله عليه وسلم ؛ وقد كان ثابت البنانى رضى الله عنه لا يدع يد
 أنس بن مالك رضى الله عنه حتى يقبلها ويقول : يَدٌ مَسَّتْ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ورحم الله من قال :

يا من يذكرنى حديث أحبة طاب الزمانُ بذكرهم ويطيب
 أعد الحديث على من جنباته إن الحديث عن الحبيب حبيب

ابن تيمية يتعجب :

وجاء فى كتاب «جواهر البحار» : قال المحب الطبرى : يمكن أن يُستَنبَط

من تقبيل الحجر واستلام الأركان تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالى ، فإنه إن لم يرد فيه خبر بالثواب ، فلم يرد فيه خبر بالكراهة ، وقال الحافظ زين الدين العراقي (١) : أخبرني الحافظ أبو سعيد بن العلاء قال : رأيت في كلام أحمد ابن حنبل في جزء قديم ، عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ ، أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقبيل منبره فقال : لا بأس بذلك ، فأريناه الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، فصار يتعجب من ذلك ويقول : عجيب ، أحمد عندي جليل يقول هذا ؟ قال : وأى عجب في ذلك ، وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به ، وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة ؟ فكيف بآثار النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ولقد أحسن مجنون ليلى حيث يقول :

أمر على الديار ديار ليلى أقبلُ ذا الجدار وذا الجدارَ
وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ مَنْ سكن الديارَ

وجاء في كتاب « جواهر البحار . . . » وفي كتاب « العلل والسؤالات » لعبد الله ابن أحمد بن حنبل ، سألت أبي عن الرجل يمس قبر النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك بمسّه وتقبيله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى فقال : لا بأس به .
أقول ، والله در القائل في المحبة وأثرها :

ولو قيل للمجنون أرضٌ أصابها غبارٌ ثرى ليلى لجدَّ وأسرعا

وإن كان قد ورد في « التحفة » لابن عساكر أن ابن عمر رضي الله عنه كان يكره أن يكثر مسُّ القبر النبوي الشريف ، كما ورد عن أنس رضي الله عنه أنه رأى رجلاً وضع يده على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه وقال : ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأقول بعد ذلك ما جاء في الحديث الشريف (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) ، وحسن الظن بالمؤمنين في نياتهم أولى من سوء الظن بهم إلى حد التكفير ، وفي ذلك التكفير مغالاة لا محل لها مع استقرار الإيمان في القلوب

بنعمة الله وفضله ، وإذا كان المعترض لا يؤمن بالتبرك بالبركات التي أفاضها الله على عباده الصالحين ، فهو وشأنه ، ولكن لا يجوز له أن يُكفَّرَ بغير حق غيره من المؤمنين الذين يتبركون في حسن اعتقاد بالله ، وهم مؤمنون بالله ورسوله ، ويصلّون للقبلة ، وبواطنهم في علم الله وليعلّم ذلك المعترض أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقتسمون شَعْرَهُ الشريف إذا قصه ، وكانوا يقرعون على الشعرة الواحدة إذا كان طُلُابًا بها أكثر من واحد ، وتبرك أحدهم بشرب دمه الشريف حين احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يوارى الدم في الأرض خلف الجدار ، فأحس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه شربه فسأله : أين وارى الدم ؟ فقال خلف الجدار يا رسول الله فكرر عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله نفستُ على دمك أن أهريقه في الأرض فابتلعتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحرزت بطنك من النار » .

أبو أيوب يتبرك :

وقال أبو أيوب الأنصاري : وكنا نصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا إليه ليلة بعثائه وقد جعلنا له بصلاً أو ثومًا ، فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أر ليده فيه أثرًا ، قال فجئته فرعًا : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ، وكنت إذا رددته علينا ، تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة ، قال : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجى ، فأما أنتم فكلوه ، قال : فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

أرأيت أيها القارئ الكريم كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبركون بآثار يده في الطعام ويتبجحونها ، ولم يروا في ذلك شركًا كما يرى بعض الخفأة الذين يعترضون على المتبركين بالأولياء والصالحين من ذرية سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ويقولون في الاستهزاء إنهم قبوريون ، أي يتعلقون بالقبور ، وما دروا أنها تزهو على سائر القبور بتقوى نزلانها ، تلك التقوى التي جعلتهم

أكرم الناس على الله كما قال تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهَاكُمْ) .

ابن عمر يتبرك :

وكان ابن عمر رضى الله عنه - وهو الفقيه الحجة - إذا أسرعت به ناقته وهو ذاهب لمكة يشد زمامها ويقول لها : لعل خُفًّا يقع على خف ، أى ضيقتى خطاك لعل أسعد وتسعدين بأن يقع خنك على خف ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم التى سارت من قبل فى هذا الدرب .

رؤيا رسول الله فى المنام :

روى ابن الأثير فى أسد الغابة فى ترجمة سيدنا بلال بن رباح رضى الله عنه أن بلالا - وكان بالشام - رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه وهو يقول : « ما هذه الجفوة يا بلال ما آن لك أن تزورنا ؟ فانتبه حزينا فركب إلى المدينة فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبكى عنده ويتمرغ عليه ، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يقبلهما ويضمهما ، فقالا له نشتهى أن تؤذن فى السحر . فعلا سطح المسجد . فلما قال : الله أكبر الله أكبر ، ارتجعت المدينة ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، زادت رجتها ، فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله ، خرج النساء من خدورهن ، فما روى أكثر باكية وباكية من ذلك اليوم . أقول : لأنهم تذكروا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يؤذن فيه بلال بِلَيْسِل ، ولم يكن يؤذن بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى .

رؤيا لسيدي العارف الحلواني :

ولا يفوتنى أن أمتع القارئ الكريم بما قاله سيدي العارف العالم الشيخ أحمد الحلواني الحلبي (والد شيخى وسيدي عبد السلام الحلواني رضى الله عنهما) ، وكان قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم له فى المنام :

بُشْرَايَ إِنَّ حُلَاكَ تَبْسِمُ بِالْمُنَى إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا رَأَى الضَّيْفَ ابْتَسَمَ
وبوجهك الميمون يسعد من رأى أنواره ممن بملئتك اعصم

أَرْنِيهِ فَهَو سَعَادَتِي وَمَجَادَتِي أَبَدًا وَلَوْ نَوْمًا وَعَنَتِي لَا تَنْمِ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ الْأَمَانَ فَكُنْ لَنَا سُورًا عَلَى الْإِيمَانِ يَا أَفَقَ الْمَهْمِ

ويقول سيدي الشيخ عبد العزيز الحلواني (شقيق شيعي وسيدي الشيخ
عبد السلام الحلواني رضي الله عنهما) في كتابه « الفيض الرحمانى فى تاريخ الإمام
الحلوانى » ما نصه :

رَأَيْتُ فِي مَذَكِرَاتِ وَالِدِي مَا نَصَهُ :

« . . . ثُمَّ لَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقًّا ، فِي الْبُخَارَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي
الْيَقِظَةِ وَلَا يَمَثُلُ الشَّيْطَانُ بِي » وَلَا يَشْتَرُطُ فِي حَقِيقَةِ رُؤْيَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ
يُرَى عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ إِذَا رُؤِيَ عَلَيْهَا كَانَتْ الرُّؤْيَا عَلَى ظَاهِرِهَا
لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ .

وأضاف الشيخ عبد العزيز قائلا . . . وفي كتاب والدي « الضوء الشارق » :
وكان سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه يقول : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال لي : « يا محمد ^(١) ما أنا بميت وإنما موتى عبارة عن تسترى عن لا يفقه
عن الله تعالى ، وأما من يفقه فهو يراني وأراه » . وقال المرحوم والدي مضمنا
للحديث الشريف الوارد في الجامع الصغير للإمام السيوطي :

إِنَّ أَزْكَى الْأَنَامِ فِي الْقَبْرِ حَيٌّ مَتَرَفُ الْجَسْمِ رَطْبُهُ كَالسُّورِ
وَهَذَا قَالَ عِنْدَ انْتِقَالِ أَفْرَشُوا لِي قُطَيْفَتِي فِي الْحَدَى

« وهذا الفرش خصوصية له صلى الله عليه وسلم ، وفي الحديث الشريف
« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ » .

أقول : وكان سيدي الشيخ أحمد الحلواني طيب الله ثراه يرى النبي صلى الله
عليه وسلم كثيرا ، وأكتفى هنا بإثبات بعض تلك الرؤى كما جاءت في الكتاب
المذكور ^(٢) :

(١) كان رضي الله عنه يسمى محمداً وكنيته أبو المواهب .

(٢) الفيض الرحمانى .

قال رحمه الله تعالى : في ليلة الخميس ٢٥ من ربيع أول ١٣٠٣ هـ رأيتُ فيما يرى النائم أني بطيبة (المدينة) كرمها الله تعالى ، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى وكذا الزهراء والسبطان رضى الله عنهما وهما شابان يافعان أمردان وعندها خلق كثير من رجال ونساء مُحَنَّدَات^(١) بها ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسقى الخلق شراباً حُلُوءاً في كوب كبير ، فأقبلت عليه فأقبلَ صلوات الله وسلامه علىّ وأعطاني كوباً وأمرني بشربه ، فشربته كله حتى اكتفيت ، ووجدت برَدَه ولذَّته في جميع أعضائي ، ثم ناولني كوباً آخر فأخذته وقلت إنني اكتفيت فقال : اشرب فشربته كله . وكل ذلك وهو صلى الله عليه وسلم واقف على مكان عال في مقصورة تُنسب إليه^(٢) لا أقدر على وصف حُسْنها وبديع صنعتها . ثم إنه صلى الله عليه وسلم تنزل إلى فجلس في ليوان كبير طويل مرتفع قدر قامته رجل تقريباً وأخذ يعتب على الزهراء رضى الله عنها في إسرافها العطايا والنفقة التي بذلتها في الفرح ، فأخذت أنا أخفض من سَوَرَتِه^(٣) وأذكره أنها الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ذلك كله في جانب ما أعطاه الله نَزْرًا يسير ، وأعطاني صلى الله عليه وسلم قدمه المبارك الشريف ، فصرت أُلثمه عاريّاً ظاهراً وباطناً وأضعه على وجهي وعيني وجهتي وأكرر ذلك ، ثم قلت يا رسول الله : تُحَفِّتَنِي على فرح السبطين قال : وما تريد ، قلت أن تلتفت إليّ ولا تنساني ، فأنعم لي بذلك مبتسمًا ، ولا أنسى بياضَ وجهه الشريف وسوادَ لحينه الشريفة وحسنَ عينيه ثم استيقظت .

وقال رحمه الله تعالى : رأيت في النصف الثاني من رمضان سنة ١٣٠٤ هـ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام يقول : جئتُك ببشارة من رب العزة وهي : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) ، ثم جاء بكتاب قديم بخط القلم فيه هذا المعنى مرويّاً في جملة أخبار مرفوعة إلى

(١) مجتمعات عليها .

(٢) مخصصة له صلى الله عليه وسلم .

(٣) غضبه .

النبي صلى الله عليه وسلم رقيقة الألفاظ مبشرة جداً واستيقظت فرحاً مسروراً والحمد لله .

وقد قصدت بإثبات هذه المراتى أن أبين للقارئ الكريم أن صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الروحية متصلة على الدوام بأبنائه المؤمنين ، وأنه لولا تلك الصلة لتزعزع إيماننا بطول القرون بيننا وبينه ، وكثرة الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ولا يدوق هذه الصلة الروحية إلا أهل التقوى من المؤمنين ، وقد ورد في الحديث الشريف : « حياتى خيرٌ لكم ومماتى خيرٌ لكم » ، فسئل كيف يكون مماتك خيراً لنا يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « تُعرض على أعمالكم فإن وجدت خيراً حمدتُ الله وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم » . وهذا ما يدُلنا على أنه فى قبره الشريف عامل بقول الله تعالى فى سورة محمد :

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) . وقد جاء فى تفسير « ذنبك » . أى ذنب أهل بيتك خاصة ، والمؤمنين والمؤمنات عامة ، لأنه صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب بعصمة الله له ، وقد سلف القول فى العصمة بالتفصيل فارجع إليه إن شئت فى الباب الثامن .

وختاماً أقول :

سيدى يا رسول الله— صلوات الله وسلامه عليك وعلى آلك الكرام البررة وبعد، فلقد قلتُ على لسانى ما قلت ، ونقلت عن غيرى ما نقلت ، وأنت كما أنت على مر الزمان لا يستطيع أحد أن يوفيك حَقك .

فإن قبلت الكتاب تكرمًا فقد سعدتُ ، وإن رأيتنى قصرت فعذرى لديك واضح :

أَوْصَاكَ الْغُرَّ فَاقَتْ عَمَّا أَحْبَبْتُ وَأَعْلَمْتُ
عَاسَنُ لَيْسَ تُحْصَى وَحَدَّثَهَا لَيْسَ يُعْلَمُ

وفى قبولك رافة بالكاتب ، وفى عفوك عن القصور متسع ، وحسبك ما يتكلم به
الله تعالى فى شأنك واصفًا ومادحًا فى القرآن الكريم .

أما أنت أيها القارئ الكريم فكل ما أرجوه منك دعوة صالحة تكون رابطة ودية
فى الله بينى وبينك لا تنفصم عراها إن شاء الله وأن نعمل معًا سويًا بقوله
تعالى :

(إِنْ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) .

صلوات الله وسلامه على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

مراجع الكتاب

- القرآن الكريم .
- كتب السنة النبوية .
- تفسير الإمام القرطبي .
- تفسير الإمام الفخر الرازي .
- تفسير الإمام الألوسي .
- تاريخ الإمام الطبري .
- السيرة النبوية لابن هشام .
- السيرة النبوية لابن كثير .
- جواهر البحار للشيخ النبهاني .
- الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي .
- الرسائل للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي .
- مثنوى جلال الدين الرومي — ترجمة وشرح الدكتور عبد السلام كفاي .
- أعلام الموقعين لابن القيم .
- عبقريّة محمد للعلامة العقاد .
- ما يقال عن الإسلام للعلامة العقاد .
- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعلامة العقاد .
- الفلسفة القرآنية للعلامة العقاد .
- الفيض الرحمانى للشيخ عبد العزيز الحلوانى .
- على بن أبى طالب للأستاذ عبد الكريم الخطيب .
- العقيدة الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة .
- الرسائل للشيخ يوسف الدجوى .
- خامس الخلفاء الراشدين الإمام الحسن بن على للمؤلف .
- الصوفية فى إلهامهم للمؤلف .